عصمة الأنبياء

محمد كاظم محمد خلف الدليمي

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عصمة الانبياء

اعداد

محمد كاظم محمد خلف الدليمي

١٤٣٧هـ ٢٠١٦م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الغر الميامين ، ومن اتبع هداه وسار على نهجه الى يوم الدين ، وبعد :

لقد امرتنا الشريعة بما يجب علينا تجاه أنبياء الله تعالى من تعزيرهم وتوقيرهم وتدقيق النظر في استخراج مناقبهم على أتم الكمال وأعمه ، ووصفت أنبياء الله بالصدق والعصمة والتنزيه من الخطأ والخطل .

ولذا أحببت أن يكون بحثي هذا المتواضع عن أنبياء الله من جانب العصمة فقمت بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة ، ومبحثين ، وخاتمة .

فأما المقدمة : فقد وضحت فيها أهمية الموضوع ، وخطة البحث .

واما المبحث الأول : مفهوم العصمة والحكمة من عصمة الانبياء .

المبحث الثاني : الأمور التي عصم منها الأنبياء

والخاتمة : ضمنتها بأهم النتائج التي توصلت اليها .

وفي الختام إن وفقت فمن فضل الله عليّ ، وإن اخطأت فمن نفسي وحسبي أني قد بذلت ما في وسعي ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الأول

مفهوم العصمة والحكمة من عصمة الانبياء

أولاً : تعريف العصمة لغة واصطلاحا :

العصمة لغة : يمكن القول: إنَّ العصمة وردت في اللُّغة لعدَّة معان، منها:

١- المنع: قال في "لسان العرب": "العصمة في كلام العرب: المنع، وعِصْمة الله عبدَه: أن يعصمه ممَّا يوبِقُه، يقال: عصمه يعصمه عَصْمًا: منعه ووقاه" [١]، ويقال: عصمته من الطَّعام؛ أي: منعته عن تناوله، وعصمته من الكذب؛ أي: منعتُه منه، ومنه قوله تعالى: {قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ} [٢] أي: يمنعني من الغرق، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ} [٣] ؛ أي: امتنعَ امتناعًا شديدًا، وجاء في الحديث: ((أُمِرْت أن أقاتل النَّاس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمَن قالها فقد عصم مني مالَه ونفسه ...)) [٤] ؛ أي: منع منِّي ماله ونفسه، وسمِّيت العصمة عصمة؛ لأنَّها تمنع من ارتِكاب المعصية[٥]، وقد جاءت العصمة بمعنى المنع أيضًا في قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} أي: من القتْل[٦]

---

(١) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ : (٤٠٣/١٢) .

(٢) سورة هود ،آية (٤٣) .

(٣) سورة يوسف ،آية (٣٢) .

(٤) الجامع الصحيح ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ) ، دار الشعب – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة : (٢٠٥/٥) ، وصحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله : (١١٤/١) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب، الرياض– المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م : (١٨٤/٩) .

(٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ) ، تحقيق: محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م : (٧٩/٣) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- الحِفْظ: قال في اللسان: "والعِصْمة: الحفظ، يقال: عصمَه فانعصم، واعتصمْتُ بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية"[١]، وقال الحافظ في كتاب "القدر" في شرح باب (المعصوم من عصم الله): "أي: مَن عصمه الله بأن حَماه من الوقوع في الهلاك، أو ما يجرُّ إليه، يقال: عصمه الله من المكروه: وقاه وحفظه، واعتصمتُ بالله لجأْت إليه"[٢].

٣- القلادة: قال الزَّبيدي: "والعصمة: القلادة، وقال الراغب: شبه السوار ... والجمع الأعصمة"[٣]، الأعصمة"[٣]، ونصُّ الصِّحاح: "والعِصْمة القلادة، والجَمع الأعْصام، والمِعْصم: موضع السِّوار من السَّاعد[٤].

٤- الحبل: قال الزجَّاج: "أصل العِصْمة الحبل، وكل ما أمسك شيئًا فقد عصمه [٥]، وقال محمد بن نِشْوان الحِمْيري في ضياء الحلوم: "أصل العصمة السبب والحبل"[٦] .

وخلاصة القول: أنَّ هذه المعاني كلّها للعِصْمة ترجع إلى المعنى الأوَّل الذي هو المنْع، فالحفظ منع للشَّيء من الوقوع في المكْروه أو المحظور، والقلادة تَمنع من سقوط الخرز منها، والحبْل يمنع من السُّقوط والتردِّي

العصمة اصطلاحاً : العِصْمة هي: حفظ الله لأنبيائه ورسُلِه من الوقوع في الذُّنوب والمعاصي، وارتِكاب المنكرات والمحرَّمات.

---

(١) لسان العرب : (١٢/ ٤٠٣) .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار السلام – الرياض ، ودار الفيحاء – دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م : (١٨/٤٥٤) .

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية : (١/٧٨١٩) .

(٤) المصدر السابق : (١/٧٨٢٠) .

(٥) لسان العرب : (١٢/ ٤٠٣) .

(٦)تاج العروس: (١/٧٨١٩) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعرَّفها الحافظ ابن حجر بقوله: "وعصمة الأنبِياء – على نبيِّنا وعليْهِم الصَّلاة والسَّلام –: حِفْظُهم من النقائص، وتَخصيصهم بالكمالات النفيسة، والنصرة والثَّبات في الأمور، وإنْزال السَّكينة، والفرق بينهم وبين غيرهم أنَّ العِصْمة في حقِّهم بطريق الوجوب، وفي حقِّ غيرهم بطريق الجواز" [١]، وقال الرَّاغب: "عصمة الله الأنبِياءَ: حِفْظُه إيَّاهم أوَّلاً بما خصَّهم من صفاء الجوهر، ثمَّ بما أوْلاهم من الفضائل الجسمية والنفسية، ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم وبالتَّوفيق"، وقال المناوي: "العصمة مَلَكة اجتناب المعاصي مع التمكُّن منها" [٢].

وعلى كلٍّ فقد عُرِّفت العِصْمة بعدَّة تعريفات، أحسن وأسلم هذه التَّعريفات ما ذكره صاحب كتاب "نسيم الرياض" بأنَّها: "لطفٌ من الله – تعالى – يَحمل النبيَّ على فعل الخير، ويزْجره عن الشَّرِّ، مع بقاء الاختِيار تحقيقًا للابتِلاء" [٣].

ثانياً : الحكمة من عصمة الأنبياء :

الشرع والعقل يلزمان بعصمة الأنبياء للأسباب التالية :

١– العصمة ثابتة للأنبياء أكرمهم الله بها، وميَّزهم على سائر البشر؛ حتى تتحقَّق حكمة الاقتداء والتأسِّي بهم، وإلاَّ لم يكن لهم فضل ولا مزية، وكانت القدوة بغيرهم مساوية للقدْوة بهم، والأخْذ عنهم كالأخذ عن غيرهم.

٢– ولأنَّ المعاصي والذنوب ما هي إلاَّ نجاسات معنويَّة، وهي تشبه القاذورات والنَّجاسات الحسِّيَّة، فكيف يجوز نِسْبَتها إلى الأنبياء؟! وقد سمَّاها النَّبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – قاذورات بقوله: ((اجتنِبوا هذه القاذورات التي نهى الله – تعالى – عنها)) [٤] ، يقول الصَّابوني في النبوَّة والأنبياء

---

(١) فتح الباري لابن حجر: (٤٥٤/١٨١) .

(٢) تاج العروس: (٧٨١٩/١) .

(٣) نسيم الرياض فى شرح شفاء، القاضى عياض، لشهاب الدين الخفاجى، دار الكتاب العربى بيروت٠: (٣٩/٣) .

(٤) السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٤ هـ /٢٠٠٣ م : (٣٣٠/٨) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

موضِّحًا هذا المعنى: "وهل سيكون لكلام النَّبيِّ أثر في النفوس إذا كانت سيرته غيرَ حسنة، أو كانت حياته ملوَّثة ببعض الموبقات والآثام؟!" [1].

٣- ولأنَّ القول بعدم عِصْمة الأنبياء يُفْضِي إلى القدح في تبليغهم الرِّسالة؛ حيث يمكن نسبة الخطأ أو الزيادة أو النقص في التَّشريع، وهذا غير ممكن في حقِّهم؛ لأنَّ الله قد عصمهم من ذلك.

---

(١) النبوة والأنبياء ، محمد علي الصابوني : (ص: ٧٣) بتصرف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الثاني

الأمور التي عصم منها الأنبياء

أولا: الكفر:

الأنبِياء والرُّسل لا شكَّ أنَّهم معصومون من الوقوع في الكُفْر والشِّرْك، وقد نقل الجرْجاني إجْماع الأمَّة على عِصْمة الأنبِياء من الكفر والشِّرْك قبل النبوَّة وبعدها، حيث قال: "وأمَّا الكفر فأجْمعت الأمَّة على عصمتهم منه قبل النبوَّة وبعدها، ولا خِلاف لأحدٍ منهم في ذلك"(١)، وقال الرَّازي: "وأجْمعتِ الأمَّة على أنَّ الأنبياء معصومون عن الكفْر والبدعة"(٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ففي الجُملة كل ما يقدح في نبوَّتهم وتبليغهم عن الله فهُم متَّفقون على تنزيههم عنه"(٣)، وقال الآمدي: "فما كان منها كفرًا فلا نعرف خلافًا بين أهل الشَّرائع في عصمتهم عنه"(٤)..

ولم يخالف في هذا الإجْماع إلاَّ مَن لا يعتد بخلافهم، وهم أربعة طوائف هي:

أ- الأزارِقة (فرقة من فرق الخوارج) نقل عنهم أنَّهم قالوا بِجواز بعثة نبي علم الله أنَّه يكفر بعد نبوته(٥).

ب- الفضيليَّة: (وهم من فرق الخوارج أيضًا) ويقولون بِجواز الكفر على الأنبياء من جهة كونهم يعتقدون جواز صدور الذنوب عن الأنبياء، وكلّ ذنبٍ هو كفر على حسب اعتِقادهم، فمن هذا الباب جوَّزوا صدور الكفْر عنهم(٦).

ج- الرَّافضة: فقد جوَّزوا على الأنبياء إظهار الكفْر على سبيل التقية عند خوف الهلاك، بل نقل عنهم أنَّهم أوجبوه، وعلَّلوا ذلك بأنه إذا كان إظهار الإسلام يؤدِّي إلى القتل كان إلْقاء للنفس في

---

(١) شرح المواقف، للجرجانى، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ. : (ص: ١٣٤) .

(٢)عصمة الأنبياء، لفخر الدين الرازى، مطبعة الشهيد، قم بإيران، ١٤٠٦هـ: (ص: ١٨) .

(٣) منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية، لابن تيمية ، المطبعة الأميـرية ببولاق ١٣٢١هـ : (٤٧١/١) .

(٤) الأحكام في أصول الأحكام، لعلى بن محمد الآمدى، مطبعة البابى الحلبى بمصر، ١٣٨٧هـ : (١٧٠/١) .

(٥) ينظر الإحكام في أصول الأحكام: (١/ ١٢٨) والمواقف للأريجي : (ص: ٣٥٨ - ٣٥٩).

(٦) ينظر: عصمة الأنبياء للرازي : (ص١٨) والإحكام للآمدي : (١/ ١٢٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التهلكة وهو حرام؛ لقوله تعالى: {وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [١].وإذا صار إظهار الإسلام حرامًا كان إظهار الكفر واجبًا[٢] .

د- السمنانية: ذكَر ابنُ حزم في كتابه "الفِصَل" عنهم: أنَّه رأى في كتاب أبي بكر السمناني قاضي الموصل صاحب الباقلاني أنَّه كان يقول: "كل ذنب دقَّ أو جلَّ فإنَّه جائز على الرُّسُل؛ حاشا الكذب في التَّبليغ فقط، قال: "وجائزٌ عليهم أن يكفروا"[٣].

وكيف يقع الأنبياء في الكفر والمعلوم من سيرتهم أنَّهم كانوا حربًا على الكفر والشرك على اختلاف صُوَرِه وأشْكاله وألوانه؟! فلم يدَعوا طريقًا أو سبيلاً لهدْم الشِّرْك والكفر إلاَّ سلكوه، مستخدمين في ذلك كلَّ طاقاتِهم وجهودهم.

والله - عزَّ وجلَّ - قد نزَّه نبيَّه محمَّدًا - صلَّى الله عليْه وسلَّم - من كلِّ ضلال وغواية وكفر، ونفى ذلك عنه؛ قال تعالى: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} [٤] ، فهذه شهادة له - صلَّى الله عليْه وسلَّم - بأنَّه راشد تابع للحق، ليس بضالٍّ ولا غاوٍ، بل هو في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد والهداية، أمَّا قوله تعالى: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى} [٥] ومثله: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [٦] ، فهذه النصوص وغيرُها يتوهَّم بعضُهم بعضُهم أنَّها تدلُّ على أنَّ الرَّسول - صلَّى الله عليْه وسلَّم - كان في ضلالٍ قبل النبوَّة، وأنَّه كان من الغافلين، والغفلة تشمل الغفلة عن الإيمان كما قالوا.

فالجواب عن الاستدلال بهذه النُّصوص، والتوجيه الَّذي يرفع عنها هذا الوهم أن نقول:

---

(١) سورة البقرة : آية (١٩٥)

(٢) ينظر: عصمة الأنبياء للرازي: (ص١٨).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهرى، مكتبة الخانجى، بمصر : (٣٩٣/١) .

(٤) سورة النجم : آية (٢)

(٥) سورة الضحى : آية (٧)

(٦) سورة يوسف : آية (٣)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن قوله: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى}: يُحمل على عدَّة وجوه تدل جميعُها على تنزيه النبي – صلَّى الله عليْه وسلَّم – من أن يقع في الشِّرْك أو الكفر قبل بعثته وبعدها من باب أولى، ومن هذه الوجوه:

١- يحمل الضلال هنا على معنى الغفلة، كما في قوله: {وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [يوسف: ٣] وكقوله: {لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى} [١] ؛ أي: لا يغفل، فيكون المعنى: ووجدك غافلاً عمَّا يراد بك في أمر النبوَّة [٢].

٢- ومنهم مَن قال: إنَّ المراد بِهذا أنَّه – عليْه الصَّلاة والسَّلام – ضلَّ في شعاب مكَّة وهو صغير، ثم رجع، وقيل: إنَّه ضل وهو مع عمِّه في طريق الشَّام وكان راكباً ناقة في الليل[٣]. فيكون الضَّلال هنا بمعنى الضياع.

٣- وقيل: ووجدك ضالاً ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل، وأنت لا تعرف الطَّريق، فهداك إلى ساق العرش، وقال أبو بكر الورَّاق وغيره: ووجدك ضالاً تحب أبا طالب فهداك إلى محبَّة ربك، وقال بسام بن عبدالله: ووجدك ضالاً بنفسِك لا تدْري مَن أنت فعرَّفك بنفسِك وحالك"[٤].

٤- وفسّر الضلال بالنِّسيان؛ كما في قوله تعالى: {أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى}[٥]

٥- وقيل: ووجدك ضالاً؛ أي: لا أحد على دينك، وأنت وحيد ليس معك أحد فهديت بك الخلق إليّ، وهذا القول مال إليه القرطبي، قال بعد أن ذكر بعض الأقوال السَّابقة: "قلت: هذه الأقوال

---

(١) سورة طه : آية (٥٢)

(٢) تفسير القرطبي : (٢/ ٩٢) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م : (٤٢٦/٨) .

(٤) تفسير القرطبي : (٢٠/ ٩٨).

(٥) سورة البقرة : آية (٢٨٢)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كلها حسان، ثمَّ منها ما هو معنوي، ومنها ما هو حسِّي، والقول الأخير أعجب إليَّ؛ لأنَّه يجمع الأقوال المعنوية(١).

ومن النُّصوص المشكِلة أيضًا في هذا الباب: ما جاء عن جابر بن عبدالله قال: "كان النبيُّ – صلَّى الله عليْه وسلَّم – يشهد مع المشركين مشاهِدَهم، قال: فسمِع ملَكين خلْفَه وأحدُهُما يقول لصاحبِه: اذهب بنا حتَّى نقوم خلْف رسول الله – صلَّى الله عليْه وسلَّم – قال: كيف نقوم خلفه وإنَّما عهده باستلام الأصنام قبيل؟ قال: فلم يعد بعد ذلك يشهَد مع المشركين مشاهدهم"، قال أبو القاسم – الطبراني –: تفسير قول جابر: "وإنما عهده باستلام الأصنام"؛ يعني أنه شهِد مع من استلم الأصنام، وذلك قبل أن يوحى إليه(٢).

وتوجيه معنى هذا الحديث من وجوه:

أولاً: هذا الحديث من حيثُ السندُ ضعيف، فقد قال الدارقطني: "يقال: إنَّ عثمان بن أبي شيبة وهِم في إسناده، وغيره يرويه عن جريرٍ عن سفيان، وإنَّما كان يحدث به جرير عن سفيان عن عبدالله بن جرير بن زياد القمِّي مرسلاً(٣) ، وهو الصواب، ويتلخَّص من كلامه أنَّ له علَّتين:

الأولى: أنَّ الحديث مرسل وليس متَّصلاً.

الثَّانية: جعله لسفيان الثوْري مكان سفيان بن عبدالله، وهذا وهمٌ في السند، فسفيان بن عبدالله مجهول، وأمَّا الثَّوْري فهو ثقة.

ثانيًا: أنَّ هذا الحديث ضعيف متنًا؛ حيث إنَّه يخالف ما عُرِف عنْه – صلَّى الله عليْه وسلَّم – بأدلَّة صحيحة صريحة من أنَّه لم يكن على شيء ممَّا كان عليه أهل الجاهليَّة من الشِّرْك، وذلك

---

(١) تفسير القرطبي : (٢٠/ ٩٩).

(٢) أخـــرجه البيهقي في دلائل النبـوَّة، باب ما جاء في حفظ الله رسولَه في شبيبته عن أقْذار الجاهلية ومعائبها : (١/ ٤١٥ – ٣٦٩) .

(٣) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، جمال الدين أبو الفرج بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) ، تحقيق: إرشاد الحق الأثري ، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان ، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م : (٣/ ٢٦٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منذ ولادته إلى أن بُعِث رسولاً، والأمثلة في ذلك كثيرة؛ منها: حديث أنس في مسلم: "أنَّ جبريل أتى النبي – صلَّى الله عليْه وسلَّم – وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرَعه فشقَّ عن قلبه، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة، فقال: "هذا حظُّ الشيطان منك"، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثمَّ لأَمَه ثم أعاده في مكانه..." [1]. الحديث.

والنصوص التي تدلُّ على تنزيه النبي – صلَّى الله عليْه وسلَّم – عن الأوثان، وبُعْده عنها كثيرة، جمعها بعض العلماء في مؤلَّفاتهم[2].

ثانياً : الكبائر:

لا شكَّ أنَّ الكبائر ممَّا يحطُّ قدْر العبد عند الله – عزَّ وجل – وعصمة الأنبياء من الكبائر أمرٌ دلَّت عليه النصوص من القرآن والسنَّة، فكيف لا يكون النبي معصومًا من الكبائر، والأمر لا يتعلَّق بنفسه فقط؛ بل يتعدَّاه لغيره بكونه هو القدوةَ للنَّاس والمرشد لهم، بل كلّ أفعاله وأقواله تعدُّ تشريعًا تأخذ بها الأمَّة إلى قيام الساعة؟!

فالنَّبيُّ منزَّه عن كل ما يحطُّ قدره، وينقص من منزلته، بل هو – صلَّى الله عليْه وسلَّم – قد جبلَه الله – عزَّ وجلَّ – على جميل الأخلاق، وكريم السَّجايا، ويدل على ذلك قولُه تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤]، فهذه تزكية من الله تدل على سلامتِه من كل ما يحط من منزلته، ويقدح في نبوَّته، بما في ذلك الكبائر، ويدل لذلك قوله – صلَّى الله عليْه وسلَّم –: ((والله إني لأخْشاكم لله وأتْقاكم له)) [3]، وهذه التَّقوى والخشية تقتضي البعد عن كلِّ ما يسخط الله، وممَّا يسخطه؛ بل

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله (١/ ٣٨٧ – ٢٣٦).

(٢) وهم من ألف في دلائل النبوَّة مثل البيهقي حيث عقد بابًا في الدلائل بعنوان: (باب ما جاء في حفظ الله – تعالى – رسوله في شبيبته عن أقذار الجاهلية ومعائبها) وكذلك الحافظ أبو نعيم عقد أيضًا في كتابه الدلائل فصلاً بعنوان: (ذكر ما خصَّه الله – عزَّ وجلَّ – من العصمة، وحماه من التدين بدين الجاهلية) وأُوردتْ أحاديث كثيرة وشواهد في هذا الشأن، وكذلك الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى عقد بابًا بعنوان: (اختصاصه – صلَّى الله عليْه وسلَّم – بحفظ الله إياه في شبابه عما كان عليه أهل الجاهلية).

(٣)أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح (ج١٥/ ص٤٩٣ – ٤٦٧٥) وهو في مسلم بلفظ مقارب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من أشدِّ ما يسخطه ارتِكاب الكبائر، ومما يدلُّ على عصمة النبي – صلَّى الله عليْه وسلَّم – من الوقوع في الكبائر ما سبق في حديث شقِّ جبريل لقلبِه واستِخْراج حظِّ الشَّيطان منْه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: "فإنَّ القول بأنَّ الأنبياء معصومون عن الكبائِر دون الصَّغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجَميع الطَّوائف، حتَّى إنَّه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الآمدي أنَّ هذا قول أكثر الأشعريَّة، وهو أيضًا قول أكثر أهل التَّفسير والحديث والفقهاء، بل هو لم ينقل عن السَّلف والأئمَّة والصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم إلاَّ ما يوافق هذا القول"(١).

فقول شيخ الإسلام: "هو قول أكثر علماء الإسلام" يردُّ ما ادَّعاه الشَّريف المرتضى في كتابه: "تنزيه الأنبياء" من أنَّ أهل الحديث يُجوِّزون على الأنبِياء الكبيرة قبل النبوَّة، فهي دعوى كاذبة باطلة، وممَّا يدل على افترائه ما قاله ابن حزم – وهو من أئمة أهل الحديث – في الملل حيث يقول: "فبيقين ندري أنَّ الله – تعالى – صان أنبياءه عن أن يكونوا لبغي، أو من أولاد بغي، أو من بغايا؛ بل بعثهم الله – تعالى – في حسب قومهم، فإذ لا شك في هذا فبيقين ندري أنَّ الله – تعالى – عصمهم قبل النبوَّة من كل ما يؤذون به بعد النبوَّة، فدخل في ذلك السَّرقة والعدوان، والقسوة والزنا، واللِّياطة والبغي، وأذى النَّاس في حريمهم وأموالهم وأنفسهم، وكل ما يعاب به المرء ويتشكى منه ويؤذى بذكره"(٢).

ثالثا– العصمة في التحمل والتبليغ :

من خصائص الأنبياء والمرسلين أنَّهم معصومون في تحمُّل الوحي، وفيما يخبرون عن الله تعالى، فقد اتَّفقت الأمَّة أنَّ الرسل معصومون في تحمُّل الرِّسالة(٣).، فلا ينسون شيئًا مما أوحاه الله إليهم إلا شيئًا قد نسخ، وقد تكفَّل الله لرسوله بأن يُقْرِئه فلا ينسى شيئًا مما أوحاه الله إليه؛ إلاَّ شيئًا

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن النجدى، السعودية ١٤٠٤هـ: (١/ ٣٦٣).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٤١٣).

(٣) نقل الإجماع على العصمة في هذا أكثر من واحد، انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٠/ ٢٩١) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أراد الله أن ينسيه إيَّاه؛ قال تعالى: {سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى * إِلَّا مَا شَاء اللَّهُ}[1]. وتكفَّل بأن يجمعه له في صدره؛ {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [2]

وهم أيضًا معصومون في التَّبليغ، فالرُّسل لا يكتمون شيئًا ممَّا أوْحاه الله إليهم؛ وذلك لأنَّ الكتمان خيانة والرُّسل يستحيل أن يكونوا كذلك؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}[3] ولو حدث شيء من الكتمان أو التغْيير فإنَّ عقاب الله يحل بهذا الكاتم المغير؛ كما قال تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} [4] ، وممَّا يدل على العصمة في التَّبليغ قوله تعالى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [5] .

ومن عصمته في هذا الشَّأن عصمته من الكذب مطلقًا في أيِّ حال من الأحوال، سواء في تبليغ الرِّسالة أو في غيره من أخْباره وأحواله الدنيويَّة قبل البعثة وبعدها، ويدلُّ على هذا مبادرة الصَّحابة إلى تصديقه بِجميع أقواله، والثِّقة بجميع أخباره دون تردُّد أو توقُّف؛ بل قد أقرَّت قريش بصدقه عندما دعاهم في الصَّفا؛ كما جاء في حديث ابن عبَّاس – رضِي الله عنهما – فقال: ((أرأيتم إن أخبرتكم أنَّ خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقيَّ؟)) قالوا: ما جرَّبنا عليك كذبًا، قال: ((فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)) [6] .

---

(١) سورة الاعلى ، الآية (٦-٧) .

(٢) سورة القيامة ، الآية (١٦-١٨) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٦٧) .

(٤) سورة الحاقة ، الآية (٤٤-٤٦) .

(٥) سورة النجم ، الآية (٣-٤) .

(٦)أخرجه البخاري في كتاب التفسير (ج١٥/ ص٣٥٧ - ٤٥٨٩) ومسلم في الإيمان، باب في قوله: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} (ج١/ ص٤٧٣ - ٣٠٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد قال أبو جهل للنبي – صلَّى الله عليْه وسلَّم –: إنَّا لا نكذِّبك ولكن نكذب ما جِئْت به، فأنزل الله تعالى: {فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ} [١] .

وكذلك حين سأل الأخنس بن شريق أبا جهل: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمَّد، أصادق هو أم كاذب؟ فإنَّه ليس ههنا من قُرَيْش أحدٌ غيري وغيرك يسمع كلامَنا، فقال أبو جهل: وَيْحك، والله إنَّ محمَّدًا لصادق، وما كذب محمَّد قط، ولكن إذا ذهب بنو قُصَيٍّ باللواء والحجابة والسقاية والنبوَّة، فماذا يكون لسائر قريش؟! [٢]

وممَّا يدل على ذلك: قول أبي سفيان لهِرَقل عندما سأله عن النبي – صلَّى الله عليْه وسلَّم – وكان ممَّا سأل عنه: فهل كنتم تتَّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، فقال هرقل: "لَم يكن ليذر الكذِب على النَّاس ويكذب على الله"[٣]

وقوله لخديجة بعد أن لقِيه جبريل في حراء: ((قد خشيت على نفسي))، فقالت له : كلاَّ، أبْشِر؛ فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنَّك لتصل الرحِم، وتصدق في الحديث..." [٤]

ويكفيه في هذا الباب شهادة الله له بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} ؛ فإنَّه متَّصف بكل خلق فاضلٍ، من الصِّدْق والأمانة وصلة الرَّحم والجود وغيرها، فقد جَمع الله له خصائل الخير كلها، فلم يدع إلاَّ بالصَّادق الأمين.

أمَّا النسيان في غير البلاغ، وفي غير أمور التَّشريع، فهي من الأغراض البشريَّة الجبلِّية التي تجوز على الأنبياء ولا تنافي العصمة في التحمُّل والتبليغ، ومن ذلك:

---

(١) سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ) ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، ١٩٩٨م ، في التفسير، باب ومن سورة الأنعام (٣٢٨/١٠) .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م : (٣٣٣/١١) .

(٣) أخرجه البخاري في بدء الوحي (١/ ٦-٨) ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي إلى هرقل (٩/ ٣٢٥)

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم (١١/ ١٦٣) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

– نسيان آدم وجحوده؛ كما قال – عليه الصَّلاة والسلام –: ((لمَّا خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصًا من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب، مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيصُ ما بين عينيه، فقال: أيْ رب من هذا؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريَّتك، يقال له: داود، فقال: رب، كم جعلتَ عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب زدْه من عمري أربعين سنة، فلمَّا قضي عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال: أولَم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولَم تُعْطِها ابنك داود؟ قال: فجحَد آدم فجحدت ذريَّته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته))؛ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجْهٍ عن أبي هريرة عن النَّبي – صلَّى الله عليْه وسلَّم[1]

وكما وقع لنبينا محمد – صلَّى الله عليْه وسلَّم – في حديث ذي اليدين الَّذي رواه البخاري ومسلم، حيث سلَّم النبي – صلَّى الله عليْه وسلَّم – من ركعتين في صلاة الظهر[2]، وقد صرَّح الرَّسول – صلَّى الله عليْه وسلَّم – بِطروء النسيان عليه كعادة البشَر؛ ففي حديث ابن مسعود عن النبي – صلَّى الله عليْه وسلَّم – قال: ((ولكن إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكِّروني))[3] قال هذا بعد نسيانه في إحدى الصلوات، أمَّا حديث: ((إني لا أنسى ولكن أنسَّى لأسنَّ))[4]، فلا يعارض به الحديث السابق؛ لأنَّ هذا الحديث كما يقول ابن حجر: "لا أصل له، فإنَّه من بلاغات مالك التي لم توجَد موصولة بعد البحث الشديد"[5].

---

(١)أخرجه الترمذي (١٠/ ٣٤١) والحاكم (٩/ ٤٠٢) .

(٢)أخرجه البخاري في الجمعة، باب إذا سلم في ركعتين (٤/ ٤٣٩) .

(٣)أخرجه البخاري في الصَّلاة، باب التوجُّه نحو القبلة حيث كان (٢/ ١٦١).

(٤) موطأ مالك (١/ ٣٠٢).

(٥) فتح الباري (٤/ ٢٤٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وخلاصة القول في هذه المسألة:

أنَّ من الأمور الجائزة على الأنبياء السَّهو والنسيان فيما ليس طريقه البلاغ مطلقًا، وفيما طريقه البلاغ بشرطين:

الأوَّل: أنَّه بعد ما يقع منْه تبليغه لا قبل التبليغ.

الثاني: أنَّه لا يستمرُّ على نسيانه بل يحصُل له تذكُّره إمَّا بنفسه، وإمَّا بغيره، وفائدة جواز السَّهو والنسيان بيان الحكم الشَّرعي فيما وقع فيه ذلك إذا وقع مثله لغيره.وأن يكون في ذلك عزاء لمن نسي من بعده، فيقول: قد نسي مَن هو خير مني.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخاتمة

من النتائج التي توصلت لها من خلال هذا البحث :

١- العِصْمة هي: حفظ الله لأنبيائه ورسُلِه من الوقوع في الذُّنوب والمعاصي، وارتِكاب المنكرات والمحرَّمات.

٢- العصمة ثابتة للأنبياء أكرمهم الله بها، وميَّزهم على سائر البشر؛ حتى تتحقَّق حكمة الاقتداء والتأسِّي بهم، وإلاَّ لم يكن لهم فضل ولا مزية، وكانت القدوة بغيرهم مساوية للقدْوة بهم، والأخْذ عنهم كالأخذ عن غيرهم .

٣- الأنبِياء والرُّسل لا شكَّ أنَّهم معصومون من الوقوع في الكُفْر والشِّرْك .

٤- لا شكَّ أنَّ الكبائر ممَّا يحطُّ قدْر العبد عند الله – عزَّ وجل – وعصمة الأنبياء من الكبائر أمرٌ دلَّت عليه النصوص من القرآن والسنَّة، فكيف لا يكون النبي معصومًا من الكبائر، والأمر لا يتعلَّق بنفسه فقط؛ بل يتعدَّاه لغيره بكونه هو القدوةَ للنَّاس والمرشد لهم، بل كلّ أفعاله وأقواله تعدُّ تشريعًا تأخذ بها الأمَّة إلى قيام الساعة؟!

٥- من خصائص الأنبياء والمرسلين أنَّهم معصومون في تحمُّل الوحي، وفيما يخبرون عن الله تعالى، فقد اتَّفقت الأمَّة أنَّ الرسل معصومون في تحمُّل الرِّسالة[٥٢]، فلا ينسون شيئًا مما أوحاه الله إليهم إلا شيئًا قد نسخ، وقد تكفَّل الله لرسوله بأن يُقْرِئه فلا ينسى شيئًا مما أوحاه الله إليه؛ إلاَّ شيئًا أراد الله أن ينسيه إيَّاه .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**

١- الأحكام فى أصول الأحكام، لعلى بن محمد الآمدى، مطبعة البابى الحلبى بمصر، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م٠

٢- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية .

٣- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م .

٤- جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م .

٥- الجامع الصحيح ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ) ، دار الشعب – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٦- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م .

٧- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ) ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، ١٩٩٨م .

٨- السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٤ هـ /٢٠٠٣ م .

٩- شرح المواقف، للجرجانى، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٠- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١١- عصمة الأنبياء، لفخر الدين الرازى، مطبعة الشهيد، قم بإيران، ١٤٠٦هـ.

١٢- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) ، تحقيق: إرشاد الحق الأثري ، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان ، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

١٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار السلام – الرياض ، ودار الفيحاء – دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

١٤- الفصل فى الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهرى، مكتبة الخانجى، بمصر.

١٥- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ .

١٦- معالم التنزيل في تفسير القرآن ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ) ، تحقيق: محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

١٧- منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية، لابن تيمية، المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٢١هـ.

١٨- نسيم الرياض فى شرح شفاء، القاضى عياض، لشهاب الدين الخفاجى، دار الكتاب العربى بيروت.